دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية وفاء لك .. الأُستاذ الدكتور جزيل الجومرد

عرض: د. محمد نزار الدباغ

صدر عن الدَلّة للطباعة والنشر في (الموصل/ العراق)، في طبعته الأولى لسنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، كتاب (دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية وفاء لك.. الأُستاذ الدكتور جزيل الجومرد) لمجموعة من الباحثين من قسم التاريخ في كلية التربية ومركز دراسات الموصل في جامعة الموصل، وبواقع (٣٦٢) صفحة من القطع الكبير، بغلاف فني ملون وأنيق من تصميم نادر بهجة ناصر الشرماء.

وهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من الدراسات العلمية الأكاديمية في مجال التاريخ الإسلامي، عالجت مواضيع متعددة في حقل التاريخ والحضارة الإسلامية عبر عصورها المتتابعة، بدءاً بعصر السيرة النبوية، والعصر

العباسي، ثم التاريخ السلجوقي، والأيوبي، وجزء من العصر المملوكي.

وتعددت مناهج الدراسات في هذا الكتاب، لتتناول دراسة شخصيات، وتراجم علماء، ومناهج كتب ودراسات في الفكر السياسي والعسكري، وسِيَر مُلوك، ومقارنة بعض مظاهر العمارة الإسلامية، ممثلة بالجوامع.

إن الهدف من هذا الكتاب هو رد الجميل لأُستاذ طالما بذل نفسه ووقته وعلمه وكتبه في خدمة طلبة العلم: دراسة وتدريساً ومقابلة واستشارة ومحاضرة وبيان رأي حول فكرة علمية معينة، وتقديم النصح والإرشاد للطلبة، فضلاً عن إعارته للكتب من مكتبته لطالبيها من أصدقائه وزملائه وطلبته ومعارفه من المثقفين من خارج الوسط الأكاديمي، والأهم من ذلك كله تعليمه للطلبة – ولسنوات طوال – كيفية استقراء النصوص التاريخية، وسبر أغوارها من أجل الوصول للفكرة المرجوة، والتحليل الصائب، وإعمال الفِكر والحَدس في محاولة استنباط واستنطاق ما وراء السطور، لفهم النص، وتحليل وقراءة شخصية مؤلف الكتاب، ذلكم هو الأُستاذ الدكتور (جزيل الجومرد).

وجاء في مقدمة الكتاب ما نصّه: "ونحن إذ نقدم للأستاذ الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد هذا الجهد الجماعي المتواضع قد لا نرقَ فيه إلى قصر علمه الشامخ، ومكنونات غرفه الفكرية المتسعة في فضائاتها المعرفية.. ولكنه جهد بحثي جال في أغلب اهتمامات أستاذنا الفاضل".

وقد امتدت صفحات هذا الكتاب لتشمل جوانب حضارية عِدَة في السيرة النبوية العطرة، من خلال الحديث عن أُم المؤمنين (خديجة بنت خويلد رضي الله عنها)، للدكتور

(ثائر حامد صوفي)، ثم الحديث عن (ابن النديم) (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) وتاريخ المُؤَلَف العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، للدكتور (نبيل فتحي حسين)، ليعرّج بعدها باحثان في هذه الدراسة على الفكر السياسي الإسلامي عند الإمام (الغزالي)، والتطور المعرفي الذي صار إليه هذا الجانب الفكري عنده.

ثم ليأخذ التاريخ السجلوقي، والأيوبي، وبدايات العصر المملوكي، حيّزاً واسعاً فيه، من قِبل باحثين أكفاء، تناولوا جوانب سياسية وحضارية متنوعة لهذه الفترة من التاريخ الإسلامي، ككتاب (تاريخ حكماء الإسلام) لـ(ظهير الدين البيهقي) (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م)، أنموذجاً لنمط تأليف كتب التراجم في العصر الأيوبي، للدكتور (شكيب راشد آل فتاح)، ثم دراسة أخرى سلّطت الضوء بشكل تفصيلي على عمل قراءة عمرانية موازنة لجامعيْ النوري في مدينة (الموصل)، ومدينة (حمص)، للدكتور (محمد نزار الدباغ)، كذلك موقف السلطان (صلاح الدين الأيوبي) من أعدائه للدكتور (ياسر عبد الجواد)، وتلاه بحث (ابن باطيش الموصلي) (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) وكتابه (طبقات الفقهاء الشافعية)، للدكتورة (ميسون العبايجي)، وسيرة الملك الظاهر بيبرس لمحي الدين عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) – دراسة نقدية في تحقيق الكتاب – للدكتور (صفوان طه حسن)" وهذا المجال المعرفي هو الاختصاص الدقيق لأستاذنا الجليل.

وقد كان للاستشراق والموقف من الحضارة الإسلامية، وتراثها السياسي والحضاري، حيّز من هذا الكتاب، من خلال دراستين: تمثلت أولاهما بموقف مؤرخ الحروب الصليبية (رنسيمان) من هذه الحروب، التي كتب عنها كثيراً، للأستاذ الدكتور (ناصر عبدالرزاق الملا جاسم). والثانية تناولت حياة (ديورانت)، مؤلف كتاب (قصة الحضارة)، وبعض جوانب هذه الحياة التي انعكست على ما دونه في كتابه المشار إليه، للدكتور (وميض محمد شاكر)، وخُتِمَ بها هذا الجهد الكتابي النبيل، الذي عبّر فيه، ومن خلال صفحاته، الباحثون عن اعتزازهم وتقديرهم العالي لهذا الشامخ بما كتبوه وفاء له من لدن طلبته وزملائه ومن تدارس المعرفة معه❐

قراءة في كتاب

الإخوان المسلمون في أربيل نشأتهم وتطورهم 1946 - 1994م

قراءة: سعد الزيباري

صدر من مطبعة (ژيان) – أربيل، كتاب (الإخوان المسلمون في أربيل نشأتهم وتطورهم) للأستاذ (أحمد حمد أمين) الّذي عَمِلَ في مجال العمل الإسلاميّ في أربيل منذ أواخر عام ١٩٥٨م ولحدِّ إعلان الاتحادِ الإسلاميّ الكوردستاني في ٢/ ٦/ ١٩٩٤م، وكان مِنَ المؤسِّسين للاتحادِ الإسلاميّ الكوردستانيّ ولا يزالُ عضواً فيهِ إلى الآن. وهذا الكتاب الذي صدر مؤخّراً يُؤرِّخ لحقبةٍ تاريخيّة فاصِلة تمتدُّ من سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٩٤م، أي ما يُعادِل (٤٨) سنة مِنَ السنين الحافلة بالأحداثِ الجسام والنابضة بالذكريات. وقد استغرقت صفحاتُ هذا الكتاب التاريخيّ لتُسَلِّطَ الضوءَ على تاريخِ جماعةٍ إسلاميّة إصلاحيّة سلميّة أعادتِ المسلمينَ إلى جادة الصواب، ونفضت عن كاهلهم غبار الجهلِ والأمية، وهي – كما وصفها المؤلِّف – مِنَ أبرزِ الجماعاتِ التي كانت "تعملُ منذ تأسيسِها لإصلاحِ الأوضاعِ، وهدايةِ النّاسِ إلى طريق الحقّ، وتبصيرِ الأُمّةِ بدينِها القويم وشريعتِها الغرّاء، وتدعُو للعودةِ إلى نبعِها الصّافي القرآن والسُنّة المطهّرة" مُستهدفةً بذلِكَ إعادةِ حُكمِ الله في أرضِه... وذلِكَ تمهيداً لإعادةِ الخَلافةِ الإسلاميّة العادِلة التي ترعى شؤُون الأمُّةِ وتمخرُ بسفينتِها إلى شاطئ الأمان والعِزّة". وقدِ انتشرتْ هذهِ الدعوةُ الإصلاحيّة المباركةُ، وتوغّلت في مُعظمِ أنحاءِ العالَمِ الإسلاميّ، بفضلِ الدعاةِ المصلحين الّذين بذلُوا الغالي والنفيس مِنْ أجلِ هذهِ الدعوة الربّانيّة، وفرغُوا أنفسَهُم لرفدِ هذا العملِ الإسلاميّ وإثراءِ مجالاتهِ المتنوِّعة. وكان العراق من البلدان السبّاقة إلى احتضانِ هذهِ الدعوةِ الفتية، فهبّ رجالٌ مخلِصون للنهُوضِ بأعباءِ هذهِ المهمّة الشاقّة العسيرة، والعمل لها ليل نهار، من أجلِ إصلاحِ النّاس وإصلاحِ أوضاعِهم الفاسِدة التي خلفها الطغاة والمستبدّون. وكانت البدايةُ – كما يقولُ المؤلِّف – مِنَ مدينةِ الموصلِ الحدباء وبغداد العاصمة، "ثمّ انتشرت إلى الأنحاء الأُخرى، ومنها مدينة أربيل ذات التاريخ العريق والموغل في القِدَم، مدينة العِلْم والعُلماءِ والمدارِس الشرعيّة، موطن السلطان مظفر الدين كوكبوري، وابن المستوفي،

وابـن خلكـان، وغيرهُـم مـن فطاحِـل العلمـاء، مؤرِّخين، ومُحدّثين، وفقهاء، وشعراء، وأدباء...". هـذا، وقـد ذكـر الكاتِـب أنّ هـذهِ الـدعوة قـدِ انتشرتْ بفضلِ التلاميذ من أهلِ هذهِ المدينة الّذين كانوا يدرسُون في بغداد أوائِل عقـد الأربعينيّـات، وعـادُوا إليهـا بعـد إكمـالِ دراسـتِهم الجامعيّـة، يعملُون في حقلِ الدعوةِ ونشـرِها بـينَ النّـاس مِـنَ الأقرباءِ والمعارِف، وخاصّة الوسـط المثقّـف، حتّـى أصـبحتِ الـدعوةُ فيهـا أواخِـر الأربعينيّـات قـوةً يحسب لها حساب، فكانت تُوجِّه ولا تتوجَّه، وتؤثِّر ولا تتـأثّر، حتّـى أصـبحَت مثـار اهتمـامِ الشّـارِع السياسيّ في المدينة. ولمعرفةِ ماجرياتِ هذهِ الـدعوة في هذهِ المدينة نهض الأستاذ أحمد حمد أمين – وهو واحدٌ من جيلِ الروّاد الّذين كانـتْ لهـم بصـماتٌ واضِـحة في تـاريخِ هـذهِ الـدعوة الإسـلاميّة في كوردستان، وخاصّة في مدينـةِ أربيـل – لتسـجيلِ جزءٍ من تاريخ هذهِ المدينة الصّامدة عـبر التـاريخ، منذ أواسط الأربعينيّـات، وتقيـيم وتقـويمِ الـدورِ الإصلاحيّ الّذي قامَ بهِ الدعاةُ المصلِحُون من أبناءِ هذهِ الجماعة. وفيما يتعلّق بالجذور التاريخيّـة لهـذهِ الجماعة في هذهِ المدينة، فإن الأستاذ المؤلّف يـؤرِّخ لها بقولِه: "بدأت دعوةُ الإخوان المسلمين تنتشرُ في أربيل منذ مُنتصف عـام ١٩٤٦م، بشـكلٍ تنظـيمٍ بدائيّ، وقبلَها كانتْ هُنـاكَ أفكـارٌ إخوانيّـة لـدى بعـضِ الأشـخاص" بفضـلِ وجُـودِ مكتبـاتٍ تبيـعُ مجلاّتٍ وجرائِدَ تصدرُها جماعةُ الإخـوان المسـلمين في مصـر منـذ أوائِـل عـام ١٩٤٤م، مثـل مكتبـة (الجهاد) لصـاحبها عبـدالوهّاب الصـائِغ، ومكتبـة (صلاح الدّين) لبيـعِ الكُتُـب القديمـة والمسـتعملَة والتي كان يملكُهـا السـيّد محمّـد عبـدالله العبّاسـي الرّجُل الطيّب الوَقُور. فقد كان هو يجلبُ المجـلاّت الإخوانيّة من بغـداد أو تأتيـهِ أحيانـاً مِـنَ القـاهِرة مُباشرةً بفضـلِ وجُـودِ عناصِـر لهـا اتّصـالات مـع الجماعة هُناك مِنْ طُـلاّبِ البعثـاتِ التعليميّـة. أمّـا الفضلُ الأول لنشر فكرة الإخـوان بأربيـل فكـان يعود – حسبما قالَهُ المؤلّف – إلى بعـضِ الطُـلاّب الّذين كانُوا يدرسُون في الكُليّاتِ آنذاك ببغداد – قبلَ تأسيسَ جامعـةِ بغـداد – وعلـى رأسِ هـؤلاءِ عبدالوهّاب الحاج حسـن، وإحسـان شـيرزاد مـن كُليّـة الهندسـة، ومحمّـد صـادِق المختـار في كُليّـةِ الحقُـوق، والمرحُـوم عبـدالله الحـاج سـليم في دارِ العلُوم. وهؤلاءِ قَدْ تلقّوا الفكرةَ على أيدي أساتذةٍ مصـريين – مِـنَ الإخـوان – منتـدبين خصيصـاً للتـدريسِ في مُعظـمِ الكُليّـات والمـدارِس الثانويّـة ببغداد غالِباً. فكانوا إلى جانـبِ وظيفـتِهم العلميّـة يدعُون تلاميذهُم إلى الأفكارِ الإسلاميّة وفقَ المنهجِ الّذي تسيرُ عليهِ جماعةُ الإخوان المسلمين. ويؤكّـد المؤلّف في كتابه أنّ النقلـة الـتي حـدثت في تـاريخ الجماعـة كانـت علـى يـدِ الشـيخ محمّـد محمُـود الصوّاف الموصليّ (رحمه الله) الّذين كان مِنْ أوائِلِ مَنْ جلبُوا الفكـرةَ إلى العـراق أواخِـر الثلاثينيّـات

وأوائِل الأربعينيّات مِنَ القرن العشرين، بدأ مِنَ الموصل ثمّ إلى بغداد، حيثُ كان المرحُوم الصوّاف طالِباً في بعثةٍ علميّة إلى جامعةِ الأزهرِ الشّريف، وتتلمذ على يدي مؤسّس الجماعة الإمام الشّهيد حسن البنّا (رحمه الله)، مُدّة مِنَ الزّمن، إلى جانبِ دراستِه في الأزهر، وتعهّد الشيخُ الصوّاف أمامَهُ بتحمُّلِ عبءِ الدعوةِ في العراق، فكان كما تعهّد. يقول الأستاذ المؤلّف: كان هؤلاءِ الطُلاّب المذكُورون وغيرُهم كثير عندما يتواجدُون في أربيل خلال مواسِمِ العُطَل، يقومُون ببثِّ الدعوةِ، ويعرضُون الفكرةَ على معارفِهم وأصدقائِهم مِنَ الطُلاّبِ والمعلّمين والموظّفين وأهلِ السُوق بجد ونشاط، فيعقدون جلساتٍ خاصّة في بيوتِهم، خاصّة في محلّة (خانقاه)" لدراسةِ الدعوةِ وتوجيهِ الحاضرينَ للعملِ الإسلامي، وتبصيرِهم بفكرةِ (الإخوان المسلمين)، وما يدعُون إليهِ مِنْ التزامٍ بالشعائِرِ الدينيّة، والعِفّة الخُلُقيّة، إضافةً إلى اللقاءاتِ اليوميّة في المدرسة ومواقِعِ العمل، والسُوق، وبعضِ المقاهِي الشعبيّة. هذا، ويشيرُ المؤلّف إلى أسماءٍ كثيرة كانت لها مواقِف مشهُودة في هذهِ الدعوة، وكانت لهما بصماتٌ واضحة في تاريخها الحافِل، وبفضلِ جهودِ هؤلاءِ توسّعتِ الدعوةُ وتسارع الكثيرُون للانضمامِ إليها، وبدأ القائِمون على العملِ الإسلاميّ يُفكّرُون في تدشينِ نقلةٍ نوعيّة في الدعوةِ الإسلاميّة لكي تعمل بحريّة أكثر ومساحة أوسع، وبدأوا بالاتصالِ بالشيوخ والشخصيات الإسلاميّة المعروفة التي كان لها وزن واعتبار بينَ النّاس، كما جعلوا السوق أيضاً محوراً لنشاطاتهم الدعويّة، فانتشرت الدعوة في صفوفِ الكثيرِ من الفئاتِ الشعبيّة وصنوفهم، ولم يبخل الإخوان في المشاركةِ في القضايا الوطنيّة والقوميّة، بعد أن أحسُّوا بحكمِ وجودِهم المكثّف هذا بالحاجةِ إلى المشاركةِ في مثل هذهِ القضايا المهمّة، فضلاً عن الاهتمامِ بأمورِ المسلمين في كُلِّ مكان، وكانوا إضافةً إلى ذلكَ يقومُون بإحياءِ المناسباتِ التاريخيّة في الإسلام بالخُطب الحماسيّة، وكانوا يدعُون فيها إلى مُناصرةِ إخوانِهم المسلمين المضطهدين، ورفعِ الظلمِ عنهم خلال عام ١٩٤٨م، حتّى وصلَ بهم الأمرُ – كما ذكر المؤلّف – إلى القيامِ بمُظاهرةٍ ضخمةٍ دعماً لقضيّةِ فلسطين وانتصاراً لشعبِها المظلُوم الّذي طُرد مِنْ وطنِه على مرأى ومسمع مِنَ المنظّماتِ الدوليّة! فأُقيمت على أراضيهم دولة اليهود في (١٥) مايس ١٩٤٨م، وقد تقرّر أنْ تنطلِقَ مظاهرةٌ مِنْ جامع الشيخ محمّد جولي بعد صلاةِ الجمعةِ مُباشرةً، إلاّ أنّ المظاهرة – كما يُؤرِّخ لها الأُستاذ في كتابِه

بالتفصيل – لَمْ تكتمل، وذلِكَ بسبب بعض العناصِر اليساريّة وبعض القوميين مِمّن كانُوا يعادون نشاطَ الإخوان، ويعتبرونهم عقبةً كأداء في طريقِ نشرِ أفكارِهم، ولتحقيق هدفهم أحاطَ الشيوعيّون بالجامع، ودخل قسمٌ منهم فيهِ مُتظاهراً بالصّلاة، ووضعُوا خطّة لمنعِ خرُوجِ المظاهرة الإسلاميّة، وسدّوا عليهم جميع المنافِذ، وحاولُوا انتزاع اللافتاتِ والشِعاراتِ مِمّا أدّى إلى وقُوعِ مناوشاتٍ واشتباكاتٍ بالأيدي والعصي، ولكنّ المهاجمين لاذوا بالفرار، فلملم الإخوةُ صفوفَهم، ولكن الشرطةَ منعتهم، وهكذا شاع أمرُ الدعوةِ في أربيل وانتشرتْ أنباؤُها في مدينتي الموصل وبغداد اللّتينِ سبقتا أربيل في ذيوعِ الأفكارِ الإخوانيّة ونشرها.

هذهِ لمحات مختصرة مختزلة من هذا الكتاب الممتع الحافِل بالأحداث، ومن أراد التفصيلات فعليهِ بالكتاب" لأنّه خيرُ مُسعفٍ لِمَنْ يريدُ أن يقرأ التاريخ كما كتبه أحد الذين عاصروا الأحداث ودونوها كما هي❐

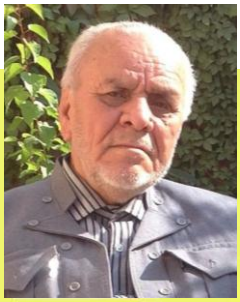

المؤلف في سطور:

– من مواليد 1939 في قرية بيرداود (مركز ناحية شامك الحالية) 20 كلم جنوب أربيل.
– درس في الكتاتيب الدينية منذ أواسط 1946 ولحد 1955.
– أكمل الدراسات الابتدائية (السادس) والمتوسطة والاعدادية في أربيل من المدارس المسائية، حيث كان يعمل في دوائر الدولة نهاراً، وكان الفائز الأول على اللواء في الدراسة الابتدائية (البكالوريا) عام 1957.
– أكمل كلية الدراسات الإسلامية الأهلية في بغداد عام 1978 وحصل على شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية واللغة العربية بدرجة جيد.
– عمل في مجال العمل الإسلامي مع جماعة الإخوان المسلمين في أربيل منذ أواخر عام 1958 ولحد إعلان الإتحاد الإسلامي الكوردستاني في 6/2/1994
– كان من المؤسسين للإتحاد الإسلامي الكوردستاني ولا يزال عضواً فيه إلى الآن.
– يشغل الآن عضوية المجلس الاستشاري للاتحاد الإسلامي الكوردستاني، كما كان مستشاراً للأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني الأستاذ صلاح الدين محمد بهاءالدين لسنوات عديدة.
– قام بإلقاء دروس دعوية وتربوية وثقافية إسلامية عامة وتفسير سور عديدة للقرآن الكريم في إذاعة (يەكگرتوو) بأربيل منذ افتتاحها ولأكثر من اثنتي عشرة سنة.
– نشر مقالات ومواضيع متعددة في جريدتي (الأفق الجديد) و(يەكگرتوو) باللغتين العربية والكوردية.
– نشر مذكراته الشخصية (الجزء الأول) تحت عنوان(من التاريخ وللتاريخ) عام 2015.
– متزوج وله ستة أولاد أربعة أبناء وبنتان، أربعة منهم مدرسون في المدارس الثانوية وخامسهم بنته الكبرى خريجة معهد العلوم الشرعية في أربيل (دبلوم الدراسات الشرعية) وابنه البكر خريج إعدادية صناعة السيارات ويعيش خارج الإقليم.